نص للتحليل في مقياس الأدب الشعبي المغاربي

في إطار المجتمعات ذات التراث "الصغير" تفترض الأنتروبولوجيا أن من واجبها إيلاء اهتمام خاص للإنتاج الشفوي: كلام وخطاب وغناء. وهكذا فإن نصوص الأنتروبولوجيين المكتوبة تنهل في الأساس من منابع التناقل الشفهي، وأيضا من مراقبة التصرفات التي ترافقه. وهكذا تتحول المشافهة إلى كتابة بتدخل الأنتروبولوجي. وفي المقابل فإن الخطاب، في إطار التراث "الكبير" والمجتمعات الحديثة المعقدة، يجد تجسيده أو تعبيره في الكتابة. وعالم الأنتروبولوجيا الذي يعمل في مجتمع ذي تراث أدبي يجد نفسه أمام تنوع كبير في نصوص من كل طبيعة وكل مصدر، وقد يأتي البعض منها من قبل أدلائه الخاصين. أمام هذه الغزارة من النصوص، يمكن أن تتنوع استراتيجيات البحث: فإما يرتكز الاهتمام على تجميع النصوص وتحليل القراءات التي أجريت عليها، وإما على إنتاج النصوص ونتائج الكتابة في تكوّن الأشكال الثقافية. فأي نظرية ثقافية يمكنها التعريف بكثرة النصوص، لكون الهويات أو التفاعل بين الذاتي والاجتماعي تخلق هكذا أو يعاد خلقها عبر الكتابة.

يطرح هنا موضوع هام، مرتبط بوجود أدب الخيال، ونعني بذلك التأثير الذي يمكن أن تشكله معرفتنا بهذا النوع من الأدب على فهمنا لتلك الثقافة. فالرواية التاريخية أو الاجتماعية نوع أدبي يمكن أن يعتبره الأنتروبولوجيون قريبا مما تقدمه لهم تجربتهم كمراقبين. إذ إن الروائي يقدم عبر اختياره لمواقف ومواضيع وكلمات وأسلوب ملامح عوالم ثقافية واجتماعية يمكن أن تقارن بتلك التي يجري فيها العمل الميداني خلال مدة طويلة. والأنتربولوجي يكون في النهاية ميالا إلى تحليل نصوص كاتب "محلي" أكثر من التمحيص في تأثير الإبداع الأدبي على المجتمع بصورة عامة. وحتى إذا افترضنا أن الأنتروبولوجيا والأدب ينتميان إلى ميدانين متلاصقين، فإنه يبقى هناك اختلاف بينهما: لقد كان الأنتروبولوجي هنا في إطار اجتماعي محدد، مما أعطى عملا إثنوغرافيا ناجحا. أما قيمة العمل الخيالي فيمكن أن تعرف بوسائل مختلفة، وبصورة مستقلة عن الواقع الذي يصوره عالم الأنتروبولوجيا. فنصوص الخيال تنتمي إلى معطيات الواقع الموضوعية التي استندت إليها، ولكنها يمكن أن تقرأ من قبل الأنتروبولوجي كما لو أنها مستندات إثنوغرافية. نستطيع القول إن أنتروبولوجية الأدب تكتسب معنى عندما يكون المجتمع والمعاني الثقافية قد درست خلال بحث ميداني على الأرض.

المطلوب: حلل وناقش النص، مبديّا رأيّك فيه؟ د/ شهيرة بوخنوف